يا تونس الحب

بمناسبة حفل تكريم 'نصير الضاد' الشاعر عبد العزيز سعود البابطين في تونس - صيادة - ١٩٩٩/٧/٣١.

أتونس الحبُّ هذي، أم أساطيرُ ... أغفى الجمال عليها فهو مسحورُ

أسير فيها فأنى سرتُ يجذبني ... من فتنة الحسن منظورٌ ومستورُ

رحماك لا توقظنْ يا شعرُ حالَمَه ... فإن أفاق سيعيا منك تصويرُ

أما العيون قريراتٌ برؤيتها ... أما الفؤاد بأصفى الحب معمورُ

يكفي مقالك هذي تونسٌ لترى ... كيف الزمان بما قد قلت مبهورُ

الله أبدعها بالحسن مفردةً ... لحسنها الحسنِ كلُّ الحسن مأمورُ

تحار عينيَ أيَّ الحسنِ تعشقهُ ... وفي سنا تونسٍ كم حار تفكيرُ!

أمن بني الإنس هذي الغيدُ فتنتُها ... من أهل تونسَ، أم هل هذه الحورُ!

وهؤلاء الرجال الصيد كم لهمو ... بصنعة المجد إبداعٌ، وتدبيرُ!

منشؤون على تقوى، ومكرمةٍ ... أباةُ ضَيْمٍ إذا حلت مقاديرُ

توارثوا كل ما للمجد من سننٍ ... ومنهمو كم زها للحق تعميرُ!

فاصدع بحمدك للرحمن يا خلدي ... فأنت في تونسٍ بالحب مغمورُ

يا مهد عقبة يا أخت الشموس سناً ... إني لِما قد حباكِ الله منذورُ

عشت الجهاد، وعشت السلم آمرةً ... ما كان منك على الحالين تقصيرُ

مجذَّراتٌ بك الأمجاد باسقةٌ ... وطاب عندك للأمجاد تجذيرُ

❖❖❖

يا مهد عقبة يا داراً ولدت بها ... قبل الولادة قلبي منك مشطورُ

أأنت بالأمس أم باليوم ذاهبةٌ ... بالمكرمات، فلم يمسسكِ تغييرُ!

الحب والشعر مضفورٌ لواؤهما ... على جبينك يا خضراء مضفورُ

بالأمس غنى بك "الشابيُّ" من وَلَهٍ ... حتى تبدت لنا منه المزامير

شعرٌ سبى مسمعَ الدنيا وناظرَها ... يكاد من حرّه يلتاع مقرورُ

واليوم جئناك يا خضراءنا زمراً ... وكل حلْقٍ به للشدْوِ شحرورُ

نشدو ونشدو وليل الحب يجمعنا ... فالليل من شدونا صاحٍ ومخمورُ

وحسن "صيّادةٍ" تمتد فتنته ... والبحر من فرحةٍ هادٍ ومسجورُ

على الوفاء تلاقى المبدعون بها ... وليل "صيادة" بالأنس مشهورُ

أما بها البدرُ* صُفّتْ حوله شهبٌ ... كسطر نورٍ بيمنى الله مسطورُ

ويا لأزهار عرفانٍ تطرزها ... أناملٌ تونسيّاتٌ معاطيرُ

❖ هو المحتفى به الشاعر عبد العزيز البابطين.

ما أجمل الزهر في صدر يليق به ... ما أجمل الصدر وشّته الأزاهيرُ!

❖❖❖

يا تونس الحب يا حسناً فتنت به ... قلبي على حب هذا الحسن مفطورُ

الشام أختك ما تنفك صامدةً ... كم كان منها لأهل الكون تحضيرُ!

عاشت عقيدتها بذلاً وتضحية ... فكل أيامها نصرٌ، وتحريرُ

أتيت أحمل منها الوُدَّ قافيةً ... الشطرتان بها فلٌّ ومنثورُ

وجئت ملتمساً من عفو فاتنتي ... عذراً بزعميَ أن الصب معذورُ

هنا النسور وحسبي أن يقال غداً ... قد مر من ها هنا للشام عصفورُ

لكنْ جناحي بيمنى الأهل مكسورُ ... فكيف يعلو جناحٌ وهو مكسورُ!

لم تُبقِ لي نكبات القوم باصرةً ... وليس للقوم في ما كان تبصيرُ

أما برى الله قومي مهجةً ويداً ... أليس يجمعهم لله دستورُ!

أليس قومي من عاشوا توحّدهم ... وكل ما كان منهم فهو مبرورُ

كم أنهلوا الناس عبر الدهر حكمتهم ... وكم أزال الدجى من هديهم نورُ!

شاب الزمان وأمجادٌ لهم بقيت ... ما مسها في قراع الدهر تكديرُ

واليوم واحسرتي مما ألمَّ بهم ... وهل يفيد مع الإذلال تحسيرُ!

أخزى الأنام كما يهوى يدمرنا ... وبأسنا كم به للأهل تدميرُ!

يلهـو الألـداء أحـراراً بموطننـا ... وخطونـا دونـه قـامت محـاذيرُ

تزويرهـم صـار حقـاً لامـراء بـه ... وكـل حـقٌ لدينـا فهـو تزويـرُ

نحمي الحراب التي في قلبنا غُرست ... وغارسـوها لهـم شـكرٌ وتقديـرُ

يـبررّون لنـا إفناءنـا ولكـم ... يكـون منـا لمـا شـاؤوه تـبريرُ!

ونحن نحن أولـو الإرهـاب واعجبـاً ... لا تعجـبنْ، فضمـير الغـرب مقبـورُ

❖❖❖

يا تونس الحب صمتُ القوم أنطقني ... وكيـف يصمـتُ مقهـورٌ ومنهـورُ!

وكيف يصمتُ مـن تـبرى أصابعـه ... وكيـف بـالدم لا يبتـلُّ منحـورُ!

وكيـف لا تلتقـي الأرحـام في زمـنٍ ... فيـه تلاقـى الألـداء المسـاعيرُ!

يـا لهف نفسيَ كيف الكفر متحـدٌ ... وشـأن أهـل الهـدى ذلٌّ، وتكفـيرُ!

إن كـان مـن سـبب واهٍ لفرقتنـا ... فـألف داعٍ ينـادي قومَنـا: 'ثـوروا'

فلـن يعيـد أخـو ظلـم مظالمـه ... إلا إذا كـان للمظلـوم تنمـيرُ

لا يُرجـع الحـقَ إلا دحـرُ غاصبـه ... والوعد بالسلمِ للمغصوب تخديـرُ

❖❖❖

رحماك يا تونسي يا عشق قافيتي ... يحلـو مـع الحـب تذكـيرٌ وتحذيـرُ

مـا جئت أنشـر في ليل الوفـاء أسـىً ... فـذل قومـي علـى الأكـوان منشـورُ

لكنهـا زفـراتٌ مـن أخـي شـجنٍ وهـل يـلام علـى الأنـات مصـدورُ!

❖❖❖

يا تونس الحب شمس الحب مشرقةٌ ولـن يطـول بنـا صـبرٌ وتـأخيرُ

فجيلنـا المرتجـى لا لـن يُضلِّلـهُ ممـا قبلنـاه تحديـدٌ، وتمصـيرُ

ولـن يكـون بغـير الحـق ملتزمـاً ودون مسـعاه تطبيـلٌ وتزمـيرُ

بـالحق أمتنـا قـد أصبحـت جسـداً فكيـف تبطِـل حقـاً قولـةٌ زورُ!

والحـق بـاقٍ ومـاضٍ أمـرُه أبـداً ومـا سـواه برغـم الظلـم منصـورُ

مـا للكراسـيِّ عمـرٌ تطمئـن بـه هيهـات مـا لكراسـي الظلـم تعميرُ

وللمبـاديء مهمـا الظلـم حاصرهـا سـموُّها، ولهـا في الدهـر توقـيرُ

فكـل كرسـيٍّ طـاغٍ سـوف ينخـره دود الزمـان، أيبقـى وهـو منخـورُ!

أسـباب وحـدة قومـي قُـدِّرتْ قـدراً ولـن يُعطَّـلَ مـا قـد خـط مقـدورُ

❖❖❖

صيـادة الـروح يـا ليـلاً سـمرت بـه وأيـن في مثلـه لـلروح تسـميرُ!

جـدّدت فينـا عكاظـاً هـا نوابغـه وهـا كمـا شـئتِ أشـجتنا المزامـيرُ

تبقـين في البـال 'ياصيّـادتي' قبسـاً لـه علـى الدهـر تذكـيرٌ وتنويـرُ

أوحـى قصيـدة حـبٍ كـان مطلعهـا أتونـس الحـب هـذي أم أسـاطيرُ!